**المفهوم اللغوي للقيمة**

قيمة الشيء هو " قدره " وقيمة المتاع ثمنه ونقول قيم الشيء تقييما " قدر قيمته "والقيمة واحدة (جمعها) القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، يقال قومت السلعة، وأهل مكة يقولون: استقمت السلعة.

وقومت أي جعلته مستقيما، وقوله تعالى: "وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ[[1]](#footnote-2)" إنما أنثه لأنه أراد الملة الحنيفية والقوام: العدل قال تعالى "وكان بين ذلك قواما" وقوام الرجل أيضا قامته وحسن طوله.

والقومية مثله ويقال "أيام كنت حسن القومية" أما من حيث الإشتقاقه الأجنبي للكلمة، فتسمى الفلسفة التي تعرضت للبحث في القيم أو المثل العليا بفلسفة القيم " PHILOSOPHY OF VALUE " أو بعلم الأكسيولوجيا " AXIOLOGY " نسبة غلى الكلمة اليونانية "أكسيوس" " AXIOS " ومعناها " الثمين " " Précious " وذلك لعناية هذه الفلسفة أو هذا العلم بعملية التقييم أو التقدير " estimation ".

"تدل كلمة القيمة عن الناحية اللغوية (باللغة الإنجليزية " Value " وباللغة الفرنسية "Valeur" وباللغة اليونانية " Axios ") على الاعتدال والاستواء وبلوغ الغاية فهي مشتقة أصلا من الفعل " قام " بمعنى وقف، وأعتدل، وانتصب، وبلغ واستوى "

فالإنسان القيم هو المستقيم والديانة القيمة هي الديانة المستقيمة يقول تعالى: "وذلك دين القيمة" البينة 5 و"فيها كتب قيمة" البينة3. ويدل قوله تعالى في سورة الكهف: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا"[[2]](#footnote-3) وهذا دلالة على استقامة الدين الإسلامي وكمال قيمته على البشرية.

هذه المعاني مثل " الاستقامة والثبات والاعتدال بلوغ الغاية تدل على الكمال لأنها مستحبة في الإنسان وغيره بينما يدل مقابلها على النقصان "

**المفهوم الفلسفي**

يعد مبحث القيم من بين أهم مباحث الفكر الفلسفي المعاصر بالإضافة إلى مبحثي الوجود والمعرفة، ورغم حضور القيمة في أغلب الفلسفات القديمة إلا أنها لم تصبح مبحثا مستقلا إلا في الفترة المعاصرة.

ففي الفلسفة الحديثة ظهر مفهوم القيمة، وعولجت القيم في علوم مستقلة، عندما تناول " كانط "\* بالعرض بحث العلاقة بين المعرفة والقيم الخلقية والجمالية والدينية "والحق فإن فلسفة " كانط " ما هي في تحقيقيها إلا فلسفة قيمة " وجاءت فلسفة نيتشه مشحونة بالحديث عن القيم وقلب القيم في الغرب والدعوة إلى قيم الإنسان الأعلى.

ويعتبر كل من (بول لابي) Paul Lapie في مؤلفه: "Logique de la Volonté " و(هارتمان) "Von Hartmann" من أوائل من استخدم لفظ " القيمة " أو "الأكسيولوجيا" في القرن العشرين، ثم شاع اللفظ عند غيرهما من الباحثين. أما أول من كتب بحثا أكسيولوجيا منظما في هذا القرن فهو الفيلسوف الأمريكي (أوربان)، وكان هذا تحت عنوان: (التقويم طبيعته وقوانين) Evaluation, it’s nature and laws, London,

newYork, mamaillan 1909.

وكان لنجاح فلسفة الفيلسوف الألماني (نيتشه) أثر كبير في شيوع استعمال كلمة (القيمة) بين جمهرة المثقفين، فاهتم نيتشه بالبحث في مشكلة القيم، وكان في الحقيقة صاحب مذهب في القيمة، زعزع فيه اليقين في القيم المعروفة " واحتلت فلسفة القيم المكانة الأولى في بلاد النمسا وألمانيا حوالي عام 1900 وفي إنجلترا وأمريكا حوالي سنة 1910 وفي فرنسا أخيرا "

والظاهر من خلال محاولات تعريف هذا المبحث من الفلسفة المعاصرة عدم الاجتماع على تعريف موحد، فهي ذات معنى غامض، وينشأ غموض معناها عن لا ماديتها وعن ارتباطها بأكثر من مجال واحد في الحياة الإنسانية". فهي وإن كانت شرطا في كل وجود، ونظاما يلازم الوجود، ليست من مجال الوجود،إنها بعيدة عنه بقدرما هي قريبة منه

يعرفها جميل صليبا بقوله: " يبدو أن هذا العالم المادي الذي يشير على القيم بالأثمان له علاقة بالإنسان وبالجزء الشعوري والعقلي له، فقد لا تكون لهذا الشيء قيمة

مادية، ولكنه يحضى بتقدير شخص ما، فتكون له قيمة واعتبار لهذا التواطؤ المؤسس على صيغة الوجدان النفساني. فإن من معاني القيمة الثبات والاستقامة والدوام على الأمر، فيقال قيمة المرء ما يحسنه ولما لفلان قيمة، أي ما له ثبات ودوام على الأمر "

أما أندري لالاند فيرى أن القيمة تدل"على تصور متحرك يمر من الواقع إلى الحق، ومن المرغوب فيه إلى القابل للرغبة. " لذا لا توجد قيمة واحدة، بل عدد من القيم نفضل بعضها على بعض بصفة تلقائية إلى حد ما وتنقسم بالنسبة لكل إنسان إلى قيم حقيقية " authentique " وقيم غير حقيقية " inauthentique " فمثلا، قد تكون القيمة خيرا في قولنا: الصحة خير من المرض. " إذ كل قيمة لها ما يقابلها، إنها قيم تظهر لنا ذات صلة برغبتنا، من جهة، ومنفصلة عنا من جهة أخرى ".

**خصائص القيم**

1. **إنها متعددة ومتنوعة:**يمثل التعدد والتنوع أهم صفات القيم لكونها مرتبطة بالوجود الإنساني، والوجود أوسع من أن يحصر في قيمة واحدة. فالمجد والاستقلال وتقرير المصير قيم سياسية، الهدف منها ضمان الكرامة والمساواة والعدل، وهي كذلك قيم غائية تأتي في ظل الدولة لتصبح أخلاقيات واسعة، فيما " يرتبط المال بالقيم الاقتصادية، والفنون بالقيم الجمالية، والمحبة بالقيم الدينية، والحق بالقيم العقلية، والغذاء والماء والهواء بالقيم الصحية".
2. **إنها مثاليةIdéal:** تبدو لنا القيمة مثالية لأنها ليست شيئا، بأية حال، وإن كانت الأشياء هي التي تحملها (لأن الشيء تتبدل قيمته).
3. **إنها تجربة "épreuve":** لأن وجودها لا يكون إلا بالشخص، وللشخص أن يجربها في فعل أصيل هو فعل التقدير فنحن لا نقدر القيمة العلمية مثلا، بمثل ما نقدر القيمة الفنية والأخلاقية.
4. **إنها قابلة للتعرف:** حتى وإن كانت تفرض نفسها على الإنسان فهي ليست عملا من أعماله، فهو لا يستطيع أن يقرر ما هو الخير في ذاته، وما هو الحق في ذاته، فالقيمة قيمة مهما كان موقفه منها.
5. **إنها تحمل على الاندفاع " élan " :** لأنها تسمو بنا، وتحملنا وتبتعد بنا على اللامبالاة التي تظهر عند الإنسان الذي لا يحس بها ولا يجربها، بما أنها ذات قطبين (أحدهما إيجابي والأخر سلبي) الأول بجنبنا والأخر يبعدنا، لذا لا نستطيع أن نرفض البداهة ولا التجربة ولا الجمال والخير.
6. **السعي نحو بلوغ مراقي الكمال:** " إن الهدف من كل فعل بلوغ أعلاه وأسماه وأتمه، والكمال كنوع من التمام يأتي الفكر "

وهذا الجانب المعنوي بل الأخلاقي، يحظى بالاستحسان، ويستهدف الكمال، ففي اللغة عُدَ الشيء واعتقاده حسنا. يقال استحسنت كذا، أي اعتقدته حسنا، ويقال: هو طلب الأحسن من الأمور، والكمال هو ما يكون عدمه نقصانا، ويستعمل في الذات والصفات والأفعال. جاء في كليات أبي البقاء: " اعلم أن الإنسان على ثلاثة أصناف، ناقص وهو أدنى الدرجات، وهم العوام، وكامل وهو قسمان: كامل غير مكتمل وهم الأولياء، ولو وجد التكميل للبعض فإنما يكون ذلك بالنيابة، لا على الاستقلال، والكامل في ذاته، مكتمل لغيره وهم الأنبياء". ويضيف "إن الكمال والتكميل إما أن يكون في القوة النظرية، أو في القوة العملية، وأفضل الكمالات النظرية معرفة الله تعالى، وأشرف الكمالات العملية طاعة الله تعالى، وكل من كانت درجة ولايته أكمل، كانت درجاته وتكميله في هاتين المرتبتين أعلى وأكمل وكانت درجات نبوته أكمل"

يبقى سعي الإنسانية للكمال المنبع الأساسي للقيمة، وذلك أن عدم قبولها للواقع الحيادي يجعلها تطرح القيمة، فالفرد المنعزل لا يعرف عالم القيم، وإنما تكون هذا العالم نتيجة لالتقاء الإيرادات حول غايات ما، فمجرد الاجتماع لا يولد قيمة، وإنما تتولد نتيجة لالتقاء هذه الإرادات بغية تجاوز ما هو كائن لدى ذلك الاجتماع، " إن عدم الرضا بهذه الحياة يولد التجاوز، فالقيمة تنهض على هذا التجاوز، وكلما تعمق الوعي القيمي، نهضت القيمة على التحريض بما يخال أنه القيمة المطلقة أو الكمال المطلق "

يمثل سعي الفرد والمجتمع على حد سواء إلى بلوغ الكمال أهم وثبات التجاوز والسعي نحو المطلق مما يحدد نوعية القيمة وخصوصيتها تجاه المستقبل وهذا ما يحيلنا للحديث عن غائية هذه الأخيرة وارتباطها الوثيق بالوجود الإنساني القائم على الارتقاء والتطور كغاية أولى وهدف أسمى من أي أكسيولوجيا يتبناها البشر في حياتهم.

1. **ارتباطها بالوجود وغاياته:** " الوجود والخير متماثلان (يتناول كل منهما الأخر بشكل متبادل) فأولهما الوجود، لأن الوجود هو الموضوع الأول للفهم، ولأننا لا نتصور الخير كخير إلا ما نتصوره وجودا، والقيمة ليست سوى خاصية للوجود، فالتجربة التي تكون لنا عن الوجود تسير عندما تتمعن تجربة للقيمة نفسها، فالوجود هو الأول ولا معنى للقيمة إلا به "

فالقول بأن الوجود قيمة، ذلك لأننا نعثر فيه على الأساس الصحيح للحقيقة، فهو القوة التي لا يمكننا الشروع في شيء بدونها، والأمن الذي تجعلنا حصانته نحس به، فالقيمة هي الأولى، وأن لا معنى للوجود بدونها، " فالله هو القيمة التي تجعل نفسها وجودا، من حيث كونه سبب ذاته، فهو القيمة كعلة، وهو الوجود كمعلول، وأنا أعبده لا لكونه وجودا بل لكونه قيمة " فلا قيمة دون وجود، كما أنه لا وجود دون قيمة، على الرغم من أن القيمة تكون حضورا ومثلا أعلى في آن واحد. " القيمة هي الخاصية التي توجد الأشياء، والتي نجعل منها أشياء جديرة بالوجود أي بأن تكون مراده "

وعبقرية الإنسان تكمن في وضعه القيمة المناسبة في الوجود، لتجاوزه وإكماله، إذ ما أكثر المناسب، وما أقل القيمي، عدا ذلك لا معنى لقولنا حرية الإنسان أو اختياره " لو كان الأمر يتم تلقائيا وبيسر، لسرنا نحو الجنة مغمضي الأعين، لكن الاختيار وعي وصراع، وتأزم وانفصال، وإبداع خلاق "

وعلى حين تبدو بعض الاختيارات قمما شامخة في حياة البشرية، تبدو سواها منحدرات رهيبة في هذه الحياة، فالإنسان لا يولد حرا، مثلما رأى روسو، وحتما عليه أن ينحت في الصخر بأظافره لنيل حريته، فإما أن يتقدم خطوة، وإما أن يصل إلى الهاوية، بحسب ما يضعه من القيم، إن وضع نظام جائر لا يدل على مخالفة قوانين الوجود، بل هو تأكيد لهذه القوانين " على حين أن وضع القوانين القيمية يدل على تلك المخالفة ويؤكد إرادة الإنسان وطلبه للكمال "

1. **الاختلاف حول نسبية القيم من مطلقيتها:** يتأرجح رأي الفلاسفة حول نسبية القيم ومطلقيتها وهذا طبقا لمنطلقات وأسس كل فيلسوف وحتى لو تزامنوا، فبروتا غوراس يقول " الإنسان هو مقياس الأشياء كلها " ويقابله أفلاطون بالقول أن أصل كل شيء هو عالم المثل الذي يمتاز بالثبات والمطلقية، وسارت التوجهات الدينية السماوية في نفس الطرح باعتبار أوامر الخالق ونواهيه في الكتب المقدسة هي الأساس والركيزة التي تبنى عليها الحياة البشرية، فإذا سلمنا أن القيمة قبس إلهي فهي تمتاز بصفة القداسة والثبات، والمتغير فيها هو طريقة الوصول إلى المطلق فقط. ويلخص الشيخ "أبو مدين شعيب" مجمل ما ذكرناه أنفا في بيت شعري بليغ الدلالة إذ يقول

" الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتادا بلوغ كمال "

فالتخلق بأخلاق دعا إليها الله، يأتي بإتباع أوامر الحق وتجنب نواهيه، أي من أراد بلوغ المطلق فليتبع وليقتدي بما شرعه الحق الذي يأتي الكمال أهم خاصية له، وهذا ما يزيد من إطلاقية القيمة في سائر الأديان السماويةإن القيم الإنسانية الخالدة موجودة منذ الأزل وكلها تدعو إلى العدل والمساواة والعفة والصبر والشجاعة والتعاطف والكرامة والحرية، كما أنهاجاءت مفعمة بمبادئ الإخاء والتسامح والدعوة إلى المحبة بين كل أبناء البشر. وأهل الأخلاق الراقية لا يبحثون عن تحقيق حاجات بيولوجية، أو إشباع غرائزهم، بقدر ما يسعون إلى تحسين خلقهم وأخلاقهم. وتتمثل" القيمة الخيرة الوحيدة في محاولة الإنسان أن يحيا حياة العدل الكامل، والرحمة الكاملة، والصبر الكامل مع إخوته في الخليقة معتمدا على الشفقة، والتقوى والمحبة .

فالدعوة إلى المحبة والتسامح والعدل بين أفراد الدولة الواحدة، بل حتى الإنسانية جعلت قيم اليونان تكتسي طابع الكونية وتنال رضا الفلاسفة والحكماء في الحضارات والأمم اللاحقة، وتكون لبنة انطلاق للكثير من فلسفاتهم ونظرياتهم الأكسيولوجية.

**ميلاد مفهوم القيمة في الأديان السماوية**

الأصل في الطرح الديني للقيم هو ربط الكائن البشري "بما يريده له الله أن يكون عليه"إذ أن طاعة هذه الأوامر وتجنب النواهي يؤدي، في الأخير، إلى الفوز برضوان الله في الحياتين. فارتبطت كل المفاهيم والقيم بما تمليه الأديان وعلماؤها على البشرية، وقد تجاوز الطرح الديني الاعتقاد وأصبح يفرض نفسه على السلوكيات الفردية والجماعية وعلى الأنماط المختلفة من نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية،...إلخ.

عمل رجال الدين على توجيه الفكر الإنساني، بما يتماشى مع الشعائر المنزلة. وإن وجد اختلاف بين الأديان السماوية حول كيفية ممارسة الشعائر والتقرب إلى الله -عزّ وجل- فإن المصدر والأساس لكل القيم كان من مدونات الوحي السماوي والكتب المقدسة. ونجد دلالات واضحة على ميلاد مفهوم القيمة في الأديان السماوية مع قصة الهبوط أو السقوط، التي "جاء فيها أن آدم –عليه السلام- وحواء، وهما أول الموجودات البشرية كانا يعيشان في الجنة، حيث نمت شجرتان شجرة الخلد وشجرة المعرفة ( معرفة الخير والشر)، وتقول القصة أن الله حرم عليهما الأكل من شجرة المعرفة، وتحريم الأكل من شجرة المعرفة يعني بوضوح أن الإنسان ينبغي ألا ينشد المعرفة وإنما عليه أن يظل على حالة براءته الأولى.

ونحن نجد في هذه القصة، أن المناسبة التي ساقت الإنسان لتخلي عن وحدته الطبيعية تنسب إلى غواية خارجية، فقد كانت الحية هي المغوي، غير أن الحقيقة هي أن الوقوع في التعارض أدى إلى يقظة الوعي، وهما في الأصل ينبعان من طبيعة الإنسان ذاتها. يكمن التعارض في رغبة الإنسان في الكمال (كمال المعرفة)، من جهة، ودعوته إلى البقاء على حالة الجهل (والجهل معارض للكمال ومناقض له) فلا خطيئة إذن.

كذلك يعتبر إعلانا عن مفهوم القيمة أساسا ومعيارا يميز به الإنسان بين الجميل والقبيح، وبين الخير والشر... إلخ.

إن التجربة الصوفية تحمل في أعماقها هذه النزعة الإنسانية التي تؤمن بالحب الإلهي، فكشف للمتصوف أسرار الوجود، وهي بوصفها على هذا الشكل ترفض كل أشكال الانغلاق والتحجر« فالهوية في التجربة الصوفية، تفتح مستمر، ذلك أن الذات تتجاوز في اتجاه الآخرين أين تجد حضورها بصورة مكتملة».

وكان الشيخ الأكبر "محي الدين بن عربي"[[3]](#footnote-4)\*ذو نظرة شمولية في المعرفة، داعيا إلى تجاوز الصراعات المذهبية والعقائدية التي يقع فيها أهل الظاهر فيسقطون في قياسات الفقهاء أنصار النزعة الدوغمائية في تأويل النصوص. وهذا المجال هو الحد الفاصل بين المتصوفة وغيرهم حسب الشيخ الأكبر ابن عربي. «لأن العارف الكامل يعرفه في أي صورة يتجلى فيها، وفي كل صورة ينزل فيها وغير العارف لا يعرفه إلا في صورة معتقده, وهذا مالا يتعارض البتة مع روح الوحي القرآني إذ يقول الحق سبحانه وتعالى:

**"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[[4]](#footnote-5)**

فهذا دليل قاطع على وجود تعايش المسلم مع المسالم[[5]](#footnote-6)\*[[6]](#footnote-7)\* دون أدنى صفات الذم والاحتقار أو التكبر، مع احترام في المعتقد والعرف والنسب، مهما كانت صفته ونوعه ولونه... الخ . إن احترام الآخر هنا واجب شرعي نص عليه الحق سبحانه وتعالى في أكثر من آية إذ يقول:

**"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"**[[7]](#footnote-8)، وقوله: **"لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)"**[[8]](#footnote-9). وقد عمل الحبيب -صلى الله عليه وآله وسلم- على ترسيخ هذه العقلية في نفوس المسلمين الأوائل. وهذه النصوص هي تجليات حقيقة مقتبسة من سيرته العطرة وتعاملاته الإنسانية مع كل أبناء البشرية، ويكفي فخرا بذلك وثيقة العهد العمرية التي ضمن فيها سيدنا عمر –رضي الله عنه- حقوق أهل الكتاب في بيت المقدس كاملة، وأمنهم على أملاكهم ودينهم وأعراضهم، مما سهل نشر الدعوة وتعايش المسلمين معهم في البلاد المفتوحة .

كما أن هذا الطرح الإبداعي الفذ لهذه القيم الإنسانية تأكيد على إمكانية قيام عالم يؤمن بقيم مشتركة، ويتحلى بصفات التسامح في الآراء ويرسخ لثقافة التنوع والتعدد. وهذا بتفعيل هذه القيم الروحية النبيلة، وتعليمها لكافة أبناء الإنسانية، في وقت يسعى فيه الراديكاليون والمتشددون وأصحاب المصالح الكبرى إلى توجيه المعتقد نحو إشعال نيران الحروب والنعرات الطائفية والقومية، بعيدا عن كل فكر ديني قيمي بناء، وهذا لخدمة طموحاتهم التسلطية الاستدمارية في حق الشعوب، باسم الأديان وحقوق الأقليات وغيرها.

وهذا كله لا يتعارض مع كنه النص الديني، بل الاختلاف سنة الله سابقة في القدر ويقول تعالى: **"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ[[9]](#footnote-10)**" ولهذا فالأدب مع القدر واجب عند السادة العارفين وما يؤكده جملة وتفصيل اقوله تعالى: **"وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118**) **إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"[[10]](#footnote-11)**

عمل ابن خلدون[[11]](#footnote-12)\*[[12]](#footnote-13)\* بمنهجه التاريخي على إبراز أهمية ودور الإنسان وسيادته على الظاهرة التاريخية، فالإنسان صانع التاريخ، بما يتبناه من قيم قد تكون إبداعيةخلاقه تبني له مستقبلا أفضلا، وقد يتبنى منظومة قيمية فاشلة تتنافى وروح التقدم والمدينة فتكون سبب تقهقره وانكساره.

فالعامل الأول لقيام الحضارة هو العصبية، وهي سمة الجيل المؤسس وهو جيل البداوة الذي يتبنى قيم الرجولة والمروءة ويسعى وراء المجد وبناء أواصر دولة قوية موهوبة بين الأمم.

يقول ابن خلدون في ذكر صفات هذا الجيل: «لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها،من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد، فلا تزال بذلك صورة العصبية محفوظة فيهم، فحدهم مرهف وجانبهم موهوب، والناس لهم مغلوبون».

أما الجيل الثاني فهو جيل مقلد يعمل على الاستقرار والبناء وتشييد القصور والاهتمام بالصنائع والعلم، ويجري هذا الجيل حثيثا وراء الأبهة والترف وكسب الأموال، فتضعف فيهم قيم البداوة وخشونتها وأخلاقها من مروءة وحب التوسع والبسالة من أجل نصرة أبناء الجلدة الواحدة.

يقول ابن خلدون: «والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترف من البداوة إلى الحضارة، ومن الشطف إلى الترف والخصب، ومن الإشراك في المجد إلى إنفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه، ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة، فتنكسر صورة العصبية بعض الشيء...».

أما الجيل الثالث: فهو جيل تنخضد فيه شوكة العصبية والشجاعة والمجد فتزول قيم التأسيس من شجاعة وعلو الهمة وحب المجد إلى الانغماس في الملذات والترف وشراء المناصب والتزين والتجمل وجمع الأموال مما ينذر بفساد الدولة وزوال سلطانها فتصبح تحت أطماع الأجانب.

يقول ابن خلدون: «أما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن،ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر، ويبلغ فيهم الترف غايته، وتسقط العصبية فيهم بالجملة وينسون الحماية والمدافعة المطالبة، وهم في الأكثر أجبن من النسوان على ظهورها، فإذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته».

ويصدق عليهم قول الحق سبحانه وتعالى: **"وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا"[[13]](#footnote-14).**

إن ابن خلدون بهذا الفهم الحاذق تمكن من اكتساب صفة العالمية في تفسير الظاهرة التاريخية.

مثلت القراءات الخلدونية للتاريخ والمجتمع والقراءات الرشدية للعلاقة بين الحكمة والشريعة والفهم الذوقي العرفاني للنصوص الدينية الإسلامية قمة الإبداعات الإسلامية، إذ أن قيمة الفكر الخلدوني هو دراسته للمجتمع دراسة موضوعية منطلقة من البنية المفاهيمية والقيمية له، وربط الظاهرة التاريخية بحتمية القيم السائدة فيه في كل مرحلة تاريخية للدولة.

أما الفلسفة الرشدية فقد استطاعت بجدارة حل معضلة باتت تؤرق العلم والمعرفة في وقته.وقد استطاع الفهم العرفاني والصوفي للنصوص الدينية من فتح أفق العلم والمعرفة، بعيدا عن سلطة المنظومة الفقهية الجامدة والتي ساهمت في إشعال الفتن بين المسلمين وبين غير المسلمين، بحجج سطحية واهية، وشرحت الصدور نحو فهم كوني للظاهرة الدينية.وهنا يكمن سر الأعمال الإبداعية في الإسلام، لأن أهم خصوصياته هو إتيان الفيلسوف بحل وعلاج لمعضلة استعصى على أبناء زمانه حلها. وقد كان لهذه القيم، وأخرى،الدور الفعال لنهضة الغرب منذ فجر الأزمنة الحديثة.

1. سورة البينة، الآية: 5. [↑](#footnote-ref-2)
2. سورة الكهف، الآية: 01-02. [↑](#footnote-ref-3)
3. \*متصوف عرفاني أندلوسي، عاش ما بين 1165-1240م له مؤلفات عديدة، من أهم كتبه: الفتوحات المكية، التدبيرات الإلهية ، مفاتيح الغيب، كتاب الحق. [↑](#footnote-ref-4)
4. **الحجرات الآية 13.** [↑](#footnote-ref-5)
5. [↑](#footnote-ref-6)
6. \*\*المسالمون هم غير المسلمون الذين يعيشون تحت راية الإسلام وأخذوا على أنفسهم العهد بعدم التعدي على حرمات المسلمين ومقدساتهم وأملاكهم. [↑](#footnote-ref-7)
7. سورة البقرة، الآية 256. [↑](#footnote-ref-8)
8. سورة الكافرون، الآية 6. [↑](#footnote-ref-9)
9. سورة الفتح، الآية23. [↑](#footnote-ref-10)
10. سورة هود، الآية 117-118. [↑](#footnote-ref-11)
11. \*\*هو عبد الرحمن ابن خلدون، ولد 1332 يتونس، وتوفي 1406 بمصر، تولى عدة مناصب في الحكم، اهتم بالتاريخ و الحضارة و يعود إليه الفضل في تأسيس علم الإجتماع المعاصر. من أهم كتبه: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. [↑](#footnote-ref-12)
12. [↑](#footnote-ref-13)
13. سورة الإسراء، الآية 16. [↑](#footnote-ref-14)